آليات تنظيم وتسيير التراث المخطوط بالجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية أنموذجا

Mechanisms for the organization and management of manuscript heritage in Algeria

Les mécanismes d'organisation et de gestion du patrimoine des manuscrits en Algérie: cas de la bibliothèque nationale d'Algérie

ط.د. فتيحة محاجبي

جامعة الجزائر2 ، أبو القاسم سعد الله

د.أمال لعمروس

جامعة الجزائر2 ،أبو القاسم سعد الله

تاريخ الإرسال: 2020-01-19 **-تاريخ القبول:**2020-04-12 **-تاريخ النشر:**2021-12-31

ملخص

تعتبر المكتبة الوطنية أعلى درجات السلم المكتبي على مستوى أي دولة حيث أنها مسؤولة على ضمان السير الحسن لباقي المكتبات الأخرى في الدولة الواحدة. ولقد حدد المرسوم التنفيذي رقم 94-292 الصادر في 1994/09/25 المعدل والمتمم للمرسوم رقم 93-149 المؤرخ في 22-يونيو 1993والمتضمن القانون الأساسي للمكتبة الوطنية الجزائرية المهام الموكلة لها باعتبارها مسؤولة على إعداد السياسة الوطنية والنظام الوطني للمعلومات مستخدمة كل الإمكانيات والموارد المتاحة المادية، والمالية، والقانونية، والتنظيم الإداري الجديد لها. ومن خلال هذه الورقة سنركز على الدراسة الميدانية لمديرية تطوير ومعالجة وحفظ الوثائق وبالضبط دائرة الحفظ والمخطوطات التي تشمل مصلحة المخطوطات ،مصلحة الحفظ والتجليد، ومصلحة التصوير لاستكشاف أهم الآليات التي تعتمدها المكتبة الوطنية الجزائرية للتسيير والتنظيم السليم للحفاظ على التراث المخطوط بالجزائر. ولإنجاز هذه الدراسة سلطنا الضوء على مجموعة من المؤشرات المتاحة (الموارد المادية والبشرية، مجموعاتها، الخدمات المتوافرة...) للتعرف على نقاط القوة والضعف، والفرص والتهديدات المستقبلية التي يمكن أن تعيق تطبيق مهام دائرة الحفظ والمخطوطات المنصوص عليها في التشريع الجزائري.

الكلمات الدالة: التراث المخطوط؛ المكتبة الوطنية الجزائرية؛ التنظيم الإداري؛ التسيير؛ الجزائر.

Abstract

The National Library is considered as the highest level of the library ranking in any country. The executive decree no. 94-292 of 09/25/1994 modifying and completing the Decree No. 93-149 of 22 June 1993, containing the status of the National Library of Algeria has defined its tasks: to be responsible for the preparation of the national policy and the national information system using all means and available resources (material, financial, legal), and the new administrative organization, where the library organization chart, under study, is based on hierarchy of responsibilities according to directorates, departments and services.
Through this paper, we will focus on the field study of the directorate of development, processing and preservation of documents, especially department of preservation and manuscripts (which includes the department of manuscripts, department of archiving and binding, and department of reproduction). Thus, we introduce the problematic of: What are the mechanisms adopted by the Algerian National Library for the good management and organization of preserving the manuscript heritage in Algeria? To answer at this question, we highlighted a set of available indicators (material and human resources, clusters, services available ...) to explore the strengths and weaknesses, opportunities and future threats that may hinder the implementation of the functions of the Department of Conservation and Manuscripts provided for in Algerian legislation.

Keywords: manuscripts heritage; management; Algeria; the Algerian national library; administrative organanization.

Résumé

La bibliothèque nationale est considérée comme une institution des plus importantes de toute nation puisqu'elle est responsable du bon fonctionnement des autres bibliothèques sur le territoire national. Le décret exécutif n ° 94-292 du 25/09/1994 modifiant et complétant le décret n ° 93-149 du 22 juin 1993 contenant la loi fondamentale de la Bibliothèque nationale d'Algérie défini les attributions et les tâches qui lui sont confiées en tant que structure responsable de la mise en place d'un système d'information national, en exploitant tous les moyens disponibles (matériels, financiers, juridiques) et sa structure organisationnelle basée sur la hiérarchisation des responsabilités en fonction des directions, des départements et des services. A travers cette article, nous restituons les résultats d'une étude de terrain à la Bibliothèque Nationale d'Algérie au niveau de la direction du développement, du traitement et de conservation des documents et plus précisément au niveau du département de la conservation et des manuscrits (qui comprend le service des manuscrits, le

service de la reliure et le service de la reproduction afin de déterminer quels sont les différents mécanismes adoptés par la Bibliothèque Nationale d'Algérie pour assurer une gestion et organisation adéquate pour préserver le patrimoine manuscrit en Algérie. Nous avons pris en compte plusieurs indicateurs dans l'étude (ressources matérielles et humaines, collections, services disponibles, etc.) pour déterminer les forces et faiblesses, les opportunités et les menaces futures susceptibles d'entraver l'application des tâches et des fonctions du Département de la conservation et des manuscrits comme définies dans la législation algérienne.

Mots-clés: patrimoine manuscrit; bibliothèque nationale d'Algérie; organisation administrative; management; Algérie

مقدمة

تعتبر المكتبة الوطنية أعلى درجات السلم المكتبي على مستوى أيدولة حيث أنها مسئولة عن ضمان السير الحسن لباقي المكتبات الأخرى في الدولة الواحدة وتقوم بالحفاظ على التراث الفكري الوطني وتبليغه وبناء مجموعات تتميز بالشمولية والموسوعية وتساهم في البناء الثقافي والعلمي للمجتمع وتشارك في تطوير الشبكة الوطنية للمكتبات والوثائق لتقوم بتجميع والمحافظة على مجموعات المخطوطات الوطنية على غرار المواد الأخرى وضبطها في فهارس. وتعد المكتبة الوطنية الجزائرية أقدم مؤسسة ثقافية بالجزائر، حيث يعود تاريخ نشأتها إلى يوم: 13 أكتوبر 1835 بموجب مرسوم من وزارة الحرب آنذاك التي كان على رأسها جانتي ديبوسيGenty Diboussi.

وقد كانت حين صدور أمر تأسيسها لا تحتوي أي رصيد، إلا أن المرسوم مهد لعمليات البحث والجمع التي أسندت مهمتها الأولى محافظ للمكتبة "أدريان بيربروجيه Adrien Berbruggerالذي كان يرافق الحملات العسكرية الاستعمارية إلى كبريات المدن الجزائرية ، فجمع ما يقرب من 700 مخطوطة في بادئ الأمر من مدينة قسنطينة والتي كانت تعتبر النواة الأولى لرصيد المكتبة الوطنية الجزائرية ليصل رصيدها اليوم إلى4298 مخطوط وآلاف مصادر المعلومات الأخرى من كتب ومجلات...الخ (تيجيني، 2018). يأتي على رأس المهام المسندة للمكتبة الوطنية الجزائرية المحافظة على رصيدها المخطوط على غرار المكتبات الوطنية الأخرى. لما يمثله من قيمة علمية وتاريخية باعتباره كنزا حضاريا وتاريخيا وثقافيا يمثل عراقة الشعوب التي تفتخر بتاريخها وحضارتها، وهذا ما يجعل إدارته تتطلب إجراءات خاصة.

سنحاول التعرض لها من خلال هذا المقال وذلك بطرح الإشكالية العامة المتمثلة في:
ما هي الآليات والإجراءات التنظيمية التي تعتمد عليها المكتبة الوطنية الجزائرية للحفاظ على التراث المخطوط؟ وهذا يحيلنا إلى طرح التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هو دور التنظيم الإداري لمديرية تطوير ومعالجة وحفظ الوثائق للمحافظة على المخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية؟
- هل الإمكانيات البشرية والمادية تساهم في الحفاظ على التراث المخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية؟
- ما هي الإجراءات المتبعة لمعالجة وحفظ المخطوط على مستوى مصلحة المخطوطات؟

للإجابة عن هذه الأسئلة اعتمدنا على منهج يوصلنا إلى النتائج المرجوة بدقة مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة الموضوع والمتمثل في المنهج الوصفي .ومن أجل تحصيل المعلومات التي نحتاجها في دراستنا قمنا باستخدام أدوات ووسائل البحث المعروفة كالملاحظة، المقابلة، والتقارير والتي تعتبر مصادر للبيانات الأولية، بالإضافة لمصادر البيانات الثانوية وهي تلك البيانات المنشورة أو التي تم جمعها فعلا من الميدان في حالات سابقة ومن أهمها المصادر والمراجع العلمية المتعلقة بالموضوع، الأبحاث العلمية التي أجريت في الموضوع، والمقالات المنشورة في الدوريات العلمية(عوض،1992).

1. تنظيم وتسيير المخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية

التنظيم والتسيير هو الكيفية التي يتم بمقتضاها جمع الأجزاء المترابطة لتكون حلاً موحداً يمكن معه مزاولة السلطة ومباشرة الاختصاصات والقيام بمهام التنسيق والرقابة والإشراف لتحقيق هدف معين. ومما لا شك فيه أن المدير في أي منشأة اقتصادية كانت أو خدماتية يحتاج إلى خريطة تنظيمية توضح تكوينها الداخلي والعلاقات الرسمية القائمة بين أجزائها المختلفة وتعمل الخريطة التنظيمية السليمة على توضيح ما يلي:

- تقسيم العمل على إدارات أو أقسام أو مجموعات يسهل إدارتها.
- تحديد العلاقات وطرق الاتصال بين الإدارات والأقسام المختلفة في المنشأة.
- تحديد التسلسل في صلاحيات وسلطات جميع العاملين في المنشأة ومن ثم المسئوليات المترتبة عليهم نتيجة هذه الصلاحيات.

وهنا يجب أن نراعي ضرورة التنظيم والذي يهتم بالهيكل الإداري والعنصر الإنساني معاً، لذا سيتم فيما يلي التفصيل في الموضوع من جانبين التعرض للهيكل التنظيمي للمكتبة الوطنية بصفة عامة ومصلحة المخطوطات- محل الدراسة – بصفة خاصة من الجانب الهيكلي والجانب البشري(العامري،2019).

1.1 التعريف بالمكتبة الوطنية الجزائرية

تعتبر المكتبة الوطنية الجزائرية أقدم مؤسسة ثقافية بالجزائر، فهي تحمل تاريخا طويلا يعود إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، فمع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ظهرت فكرة إنشاء مكتبة، وقد تجسدت هذه الفكرة عام 1835، وينسب الفضل في ذلك "إلى الماريشال كلوزيل في عهده الثاني وإلى كاتبه الخاص بيربروجر" (أبو القاسم، 1998،ص340)

تعرض مقر المكتبة لتغييرات عديدة وقد كان السبب في أغلبها عدم ملاءمة ظروف حفظ الوثائق وكذا ضيق أمكنة الحفظ أمام المجموعات التي ما فتئت تنمو باستمرار(شريط،2004). وقد بدأت المكتبة باستقبال القراء عام 1838، وفي نفس العام تم إلحاق متحف الآثار وأصبحت تسمى مكتبة-متحف الجزائر وهذا إلى غاية عام 1890 حيث "تم فصل المتحف عن المكتبة. وأصبحت مند ذلك الوقت مكتبة الجزائر الوطنية(Arab,2000) .

فتحت المكتبة أبوابها للقراء "في 12 ماي1958، وقد حظي افتتاحا لمقر الجديد للمكتبة الوطنية عام 1958 باهتمام الساسة ورجال الثقافة والعلم الفرنسي الذين كانوا يرون فيها صرحًا لخدمة ونشر الثقافة الفرنسية أساسًا. واستمرت المكتبة في أداء هذا الدور إلى غاية استقلال الجزائر عام 1962 وانتقالها إلى السيادة الجزائرية حيث أصبحت "المكتبة الوطنية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية." ومنذ الاستقلال، مرت المكتبة الوطنية بعدة مراحل وإلى يومنا هذا من إعادة هيكلة وتنظيم وإثراء لرصيدها خاصة بعد تدشين المقر الجديد للمكتبة الوطنية في أول نوفمبر 1994 بمناسبة الذكرى الأربعين لثورة التحرير، والذي يعتبر بحق إنجازا متميزًا على كل المستويات وخاصة من الناحية الهندسية وكذا التجهيزات والمرافق التي يتوفر عليها (شريط،2004).

2.1 قسم الحفظ والمخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية

يقع قسم الحفظ والمخطوطات ضمن مديرية تطوير المجموعات ومعالجتها وحفظها كما يحتوي على عدة مصالح نذكر منها: مصلحة المخطوطات والمؤلفات النادرة، مصلحة الحفظ والتجليد ومصلحة التصوير.وتعتمد مديرية تطوير المجموعات كما هو موضح في المخطط الموالي على التنظيم التنازلي الذي عنى بتحديد الاختصاصات بدقة في الوحدات الإدارية التنفيذية التنازلية كما ينسق بين أعمال الأقسام حتى يتم التعاون بينهم ويعتمد على وضوح الأوامر والتعليمات الصادرة من الرئيس وتبسيط الإجراءات، لكن ما يؤخذ على هذا التنظيم عدم إدراج مجموعة استشارية تساعد المدير بدراسة البرامج والمشاكل التي تواجه الإدارة قبل اتخاذ القرارات الإدارية . وفيما يلي مخطط يوضح توزيع هذه المصالح واختصاصات كل منها.

المخطط رقم (1):يمثل هيكل تنظيمي لمديرية تطوير المجموعات ومعالجتها وحفظها

3.1 مصلحة المخطوطات والكتب النادرة

تحتل مصلحة المخطوطات مكانة متميزة بالمكتبة وهي تحتفظ بكتب نادرة ومخطوطات قيمة،فتحت أبوابها للقراء والباحثين في 16 أفريل1996.(شريط،2004). تضم المصلحة كتب او مخطوطات لعلماء من مختلف أرجاء العالم وهي تولي عناية بما خلّفه أبناء الجزائر من آثار في شتى اللغات، العربية، الفارسية، الفرنسية والعثمانية وغير ذلك (تيجيني، 2018). ومن أهم أهداف مصلحة المخطوطات نذكر:فهرسة رصيد المصلحة من المخطوطات والمؤلفات النادرة ومن ثمة إعداد الفهارس لتمكين الباحثين من الوصول إلى غايتهم، وحفظ المخطوطات والمؤلفات النادرة وذلك بتوفير شروط الحفظ المناسبة، خدمة الباحثين ومتابعة أعمالهم من دراسة أو تحقيق وغير ذلك. كما تقوم على إثراء رصيد

المصلحة عن طريق اقتناء المخطوطات والكتب النادرة لعلماء من أرجاء العالم قاطبة وتكوين المتربصين من مختلف المعاهد ومساعدتهم في إعداد مذكرات تخرجهم، والبحث المستمر عن التطورات الحاصلة في مجال الحفظ والتقييم والمعالجة، وإقامة جسر تعاون وتواصل مع المختصين في مجال حفظ التراث على المستوى العالمي(تيجيني،2016). وتسعى المصلحة للبحث الدائم عن شروط الحفظ المناسبة لكل نوع من الوثائق وكذا تنمية الرصيد من خلال الشراء والتبادل والإهداء من أجل جمع وحفظ ووقاية التراث الفكري.

4.1 الموارد البشرية

إن إدارة الأفراد تكون جزءا لا يتجزأ من النظام الكلي للمنظمة لذلك ينظر إليها بمقدار ما تقدمه بتفاعلها مع الأجزاء الأخرى لتحقيق أهداف المنظمة. وتعرف إدارة الموارد البشرية على أنها النشاط الإداري المتعلق بتحديد احتياجات المشروع من القوى العاملة وتوفيرها بالأعداد والكفاءات المحددة وتنسيق الاستفادة من هذه الثروة البشرية بأعلى كفاءة ممكنة (شاوش،2010). وفيما يلي سنقوم بالتركيز على هذا العنصر ضمن مصلحة المخطوطات لما يحمله من أهمية بالغة ودور أساسي لتسيير المصلحة التي تعتبر جزء لا يتجزأ من منظومة المكتبة الوطنية ككل والجدول الموالي يظهر مجموعة الموظفين الذين يعملون في المصلحة مع تبيان وظيفة كل موظف وخبرته.

جدول رقم (1): يمثل عدد العاملين بمصلحة المخطوطات وخبرة كل موظف

الإطار الفني وأعوان التنفيذ	الأقدمية	العدد
مساعد تقني	14	1
عون إداري	23	1
شبكة اجتماعية	4	1
محافظة-رئيسة مصلحة	17	1
مكتبية وثائقية وأمينة محفوظات	7	1
عون متعاقد	7	1
عقود ما قبل التشغيل	8	1
العدد الإجمالي	/	8

المصدر:التقرير السنوي للمكتبة الوطنية الجزائرية 2018

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن موظفي مصلحة المخطوطات يتمتعون بخبرة أقلها 4 سنوات وهذا عامل مهم يعكس خصوصية التعامل مع المخطوط الذي يختلف جذريا في مقارنته مع المطبوعات الأخرى لأنه يتطلب صفات وقابلية وميولا من الموظف للمخطوط. كما نلاحظ تنوعا في الوظائف والمهام حيث يتخصص كل موظف في عمل محدد فلا تجتمع وظيفة في شخصان مما ينعكس ايجابيا على جودة أدائه وعلى التسيير المناسب داخل المصلحة . بينما يبقى عامل نقص العامل البشري المتخصص في مجال المكتبات على العموم والمخطوطات على الخصوص في المصلحة واضحا حيث أن ثمانية عاملين غير كافين بالمقارنة بكل الأعمال التي ينبغي أن تنجز من معالجة المخطوطات وخدمة الرواد المهتمين بالتراث الثقافي المخطوط من خلال التوجيه والإرشاد والبحث الببليوغرافي والإعارة...الخ.

5.1 الموارد المادية

تبلغ مساحة مصلحة المخطوطات 1620 م^2،حيث تستطيع قاعة المراجع استيعاب 3150 مجلد بينما قدرة استيعاب المخزن مقدرة ب 8874 مجلد. ونظرا لحساسية التعامل مع المخطوط مقارنة بالمطبوعات الأخرى اتخذت مصلحة المخطوطات عدة إجراءات من بينها اقتناء خزانات وحقائب خاصة لنقل وحفظ المخطوط نذكر أهمها فيما يلي:

الجدول رقم (2): يمثل إحصائيات لخزانة المخطوطات الموجودة بالمصلحة

الأجهزة	العدد	ملاحظات
حقائب لنقل المخطوطات	02	تم شرائها سنة 2011 لنقل المخطوطات التي تم اختيارها من طرف مفتشي وزارة الثقافة لعرضها بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية
حقائب خاصة	02	مصدرها اسبانيا وضعت فيها مخطوطات المشارك بها بمعرض اسبانيا
رصيد jean SENAC[1]	خزانة خاصة	تحتوي الخزانة على كتب مطبوعة وصور مراسلاته الأصلية وحقيبة خاصة به
رصيد جعفر إينال[2]	خزانة خاصة	تحتوي على كتب مطبوعة للمؤلف وهو مجاهد على قيد الحياة وتحتوي خزانته أيضا على مؤلفات اسياخم
بونار-بن رحال- دلفان –الأمير عبد القادر- خزانة حصار	خزائن المطبوعات النادرة	تحمل 258 كتاب نادر

المصدر: التقرير السنوي 2017

بالإضافة لهذه الخزائن والحقائب الخاصة بحفظ المخطوط تضع مصلحة المخطوطات والمؤلفات النادرة تحت تصرف الباحثين أجهزة آلية تسهل عليهم عملية البحث في قاعدة البيانات (فهرس فانيون).كما تحوي المصلحة أجهزة تسمح بحسن أداء وظائفها بما يتناسب مع المواصفات الدولية مثل أجهزة حواسيب مجهزة بشبكة الانترنت، طابعات، آلات للتصوير، أجهزة لقراءة المصغرات الفيلمية، طاولة للتعرف على عمر المخطوط، وأجهزة امتصاص الرطوبة ...الخ

6.1 الرصيد الوثائقي

يعتبر الرصيد مهما كان نوعه أساس المكتبة الذي تبنى عليه فهي تتخذ قيمتها وأهميتها منه باعتباره أساس الوظائف المختلفة التي تقوم بها هذه الأخيرة.فمصلحة المخطوطات والكتب النادرة محل الدراسة تقوم على تنمية مجموعاتها من أجل توفير متطلبات

1Jean vSENACعرف بحبه و تعاطفه مع الشعب الجزائري أثناء الثورة عاش في الجزائر حتى وفاته كتب وصية يأمر فيها أهله بإهداء نصف خزانته لفرنسا و نصف للجزائر أهديت للمكتبة الوطنية في السبعينات.

2خزانة جعفر إينال هي رصيد خاص يحتوي على كتب قيمة و وثائق عن الثورة أودعت سنة 2006 بشرط أن يكون لصاحبها حق الاطلاع عليها و استرجاع أي كتاب منها وقت ما شاء.

وحاجيات الباحثين.وإن رصيدها يحوي مخطوطات مهمة منها في حالة جيدة ومنها في حالة رديئة والتي يتم ترميمها بمصلحة الحفظ والتجليد وتصوير البعض منها على المصغرات الفيلمية والأقراص الضوئية بمصلحة التصوير. وهي بلغات متعددة منها إلى جانب اللغة العربية(التي تمثل 70 بالمائة من إجمالي المخطوطات)، اللغة الفرنسية القديمة، والعثمانية والفارسية (التي تمثل حوالي 10بالمائة من مجموع المخطوطات)والأمازيغية وأخميادو والإسبانية والتبتية واللاتينية والإيطالية واليونانية والسريانية ولغات أخرى. وحوالي 20 بالمائة من مجموع المخطوطات الموجودة بالمكتبة الجزائرية الوطنية تمثل الحقبة العثمانية أو تخص المشرق العربي(تيجيني،2018).

الجدول رقم (03):يمثل رصيد المصلحة من المخطوطات والكتب النادرة المصورة

الرقم	النوع	العدد	الملاحظات
01	المخطوطات الأصلية	4415	
	المخطوطات المصورة على الميكروفيلم	379	
02	المخطوطات المصورة على الميكروفيش	155	
03	المخطوطات المصورة على الأقراص	183	الرصيد الرقمي للمصلحة موجود بمصلحة التصوير أما بالنسبة لهذا العدد فهي أقراص معظمها مهداة
04	المخطوطات المصورة على الورق	37	
05	المخطوطات المفقودة	31	استرجاع رقم 49 كان مفقود لأكثر من 25 سنة وجد سنة 2010 في القمامة ضواحي مدينة الجزائر
06	المراسلات المنقولة من مقر فرانز فانون	599	مخطوطات

المصدر: التقرير السنوي للمكتبة الوطنية الجزائرية: مصلحة المخطوطات، 2014.

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أنعدد المخطوطات المصورة على الميكروفيلم والميكروفيش والأقراص قليلة مقارنة بعدد المخطوطات الأصلية والمقدر بـ 4415 مخطوط، في حين يبلغ عدد المخطوطات المصورة على الورق 37 مخطوط وهو الآخر عدد ضعيف جدا ويرجع سبب ذلك إلى أن عدد كبير من المخطوطات الموجودة في المصلحة لا يمكن تصويرها لعدم إتلافها أكثر نظرا لحساسيتها.ويقدر رصيد المخطوطات حاليا بـ: 4490 عنوان بحساب ما يسمى في علم المخطوطات بالمجامع وهي مجموعة مخطوطات تكون في مجلد واحد وتحت رقم واحد. وعليه فإن عدد

المخطوطات يفوق بكثير العدد المذكور. وتعالج هذه المخطوطات مواضيع مختلفة ومتنوعة مما يعكس تنوع الحياة الثقافية والعلمية عند أسلافنا وغالبها في المواضيع التالية: العلوم الشرعية والنحو والصرف والبلاغة والأدب والفلك والطب والصيدلة والتاريخ والسير والتراجم والمنطق وغيرها من العلوم. وحسب المسح الذي تم القيام به في المصلحة اتضح لدينا أن العلوم الأدبية وعلوم الدين تأتي في المراتب الأولى ثم تأتي بعدها المواضيع العلمية الأخرى كالرياضيات علم الفلك الطب والصيدلة وغيرها من العلوم وهذا راجع لأن أغلبية الرصيد من المخطوطات يعود للحقبة العثمانية حيث كان الاهتمام أكبر بالعلوم الأدبية.

2. اليات وقواعد تسييروالحفاظ على المخطوطات بالمكتبة الوطنية

تعتمد مصلحة المخطوطات والكتب النادرة على عدة طرق وإجراءات دورية لتنمية وحفظ المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية كما تنص عليها توجيهات المنظمات الدولية كاليونسكو من أجل تلبية طلبات الباحثين والحفاظ على التراث الثقافي الوطني. ومن أهم هذه الإجراءات نذكر:

1.2 تنمية الرصيد

الذي يعتمد فيه على ثلاث طرق وهي:

1.1.2الشراء

يتم اقتناء المخطوطات من بعد ما أن يتم الموافقة عليها من اللجنة المكلفة باقتناء الممتلكات الثقافية وهذا تطبيقا للقرار الوزاري المؤرخ يوم 05 مارس 2002 المتعلق بإنشاء اللجنة المكلفة باقتناء الممتلكات الثقافية والقرار الوزاري المشترك المؤرخ في 16 أوت 2009 المعدل للقرار المؤرخ في 05 مارس 2002من الخواص وهذا بعد إجراء التقييم المالي والعلمي للمخطوط وتقييم المحتوى المادي من طرف مصلحة الحفظ والتجليد. بعدها يتم الاتصال بصاحب المخطوط لعرض السعر المتوصل إليه بعد التقييم ثم يتم إعداد ملف خاص بالاقتناء(تيجيني،2014).

ويبين الجدول الموالي الإحصائيات المسجلة للمخطوطات المعروضة للبيع ما بين 2008-2014:

الجدول رقم (04): يمثل عدد المخطوطات المعروضة للبيع(2008-2014)

السنة	عدد المخطوطات المعروضة للبيع	عدد المخطوطات التي تم شراءها	عدد المخطوطات المسترجعة
2008	47	0	استرجعت كلها
2009	87	44	43
2010	61	7	54
2011	15	13	02
2012	14	14	0
2013	26	11	15
2014	10	0	10
المجموع	260	89	124

المصدر: التقرير السنوي للمكتبة الوطنية الجزائرية: مصلحة المخطوطات، 2018.

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن عددا قليلا من المخطوطات المعروضة للبيع تم شراؤها ما بين 2008 و2014 من طرف المكتبة مقارنة بعدد المخطوطات المعروضة للبيع حيث أن أغلبية المخطوطات تم استرجاعها من طرف الخواص ويرجع سبب ذلك حسب المسؤولين إلى عدم تسديد تكاليف اقتناء المخطوطات للخواص من جهة بسبب التأجيل المفروض من طرف اللجنة المكلفة بالاقتناء على مستوى وزارة الثقافة، حيث أن إجراءات التقييم تأخذ وقتا كبيرا ومن جهة أخرى لعدم كفاية الميزانية لشرائها وهذا ما تسبب في ضياع كم هائل من التراث المخطوط.

2.1.2 التبادل والإهداء

يتم تبادل المخطوطات المصورة على الأقراص أو المصغرات الفيلمية بين المكتبة الوطنية والمؤسسات الأخرى على المستوى الوطني أو الدولي وفق شروطكعدم توفر المخطوط المعروض للتبادل في رصيد مصلحة المخطوطات والكتب النادرة وأن يكون من نفس قيمة المخطوط المراد أخذ نسخة منه وكذلك معرفة الغاية من التبادل (بحث، إرساله لباحث أجنبي، بيع، تملك...). كما تتلقى المكتبة المخطوطات كهبات وهدايا من طرف الخواص ، حيث أن أغلبية رصيد المصلحة يتغذى اليوم من تبرعات علماء الجزائر وأئمتها وبمكتباتهم الخاصة مثل مكتبة محمد بن شنب ومكتبة إمام جامع كتشاوة الخاصة التي سلمت مؤخرا من طرف أولاده .

3.1.2معالجة المخطوط (الفهرسة، الحفظ والترميم)

تحتوي المكتبة مهما كان نوعها رصيدا لا يستهان به من التراث المطبوع، كتب نادرة، ومخطوطات... الخ فالمكتبة إذن مطالبة اتجاه روادها والباحثين واتجاه الوطن بالحفاظ على هذا الرصيد الذي يقدم للباحث معلومات علمية وتقنية منسجمة في إطار بحث مرجعي، ببليوغرافي، استرجاعي... الخ.هذا الأمر يتطلب سياسة خاصة تعتمدها المكتبة وتحمل إجراءات وآليات ومراحل عديدة بغية وصول المعلومات للمستفيدين بأفضل صورة. هذه السياسة تختلف من مصدر معلومات لآخر وتعرف خصوصية معينة بالنسبة للمخطوطات لما تعرفه هذه الأخيرة من حساسية في تركيبتها تجعلها تتطلب معاملة خاصة تختلف عن بقية أوعية المعلومات وهذا ما سنحاول التعرض له من خلال هذه الدراسة موضحين المراحل التي يمر بها المخطوط في عملية المعالجة.

2.2 الفهرسة وأدوات البحث

لحد الآن لم تتمكن الدول العربية من أن تجد لنفسها معيارا موحدا لفهرسة المخطوطات إلا ما تم الاتفاق عليه في الاجتماع المنعقد سنة 1989 بالرباط حول الحقول الواجب توفرها بالبطاقة الفهرسية للمخطوط، فالتعامل مع المخطوط يختلف جذريا في مقارنته مع المطبوعات لأنه يتطلب صفات وقابلية وميولا من المفهرس أو المحقق لا تستلزمها المطبوعات الأخرى، لأن المخطوط علم قائم بذاته متميز ومنفرد، ولا يكفي معرفة المفهرس بأنواع الخطوط وتطورها والجلود والأحبار ووسائل صناعتها ليكون مفهرسا خبيرا بل ينبغي أن يكون كذلك على معرفة بالفكر الإسلامي وكل جوانبه من تاريخ وفقه وقضاء وأدب وشعر ولغة وعقائد. لهذا كان لا بد من البحث خارج المكتبة الوطنية الجزائرية عن كفاءات ومختصين للتعريف بهذا الرصيد، فلجأت المصلحة إلى مكتبة تحقيق التراث بدار عالم المعرفة لعقد اتفاقية صالحة لمدة سنتين للعمل وفق شروط ومدة متفق عليها (يفوق عدد المخطوطات المعالجة 4000 مخطوط مقابل حوالي 1000 مخطوط لم يفهرس بعد).وفيما يلي نموذج لبطاقة فهرسية خاصة بالمخطوطات التي تم الاتفاق عليها.

الشكل رقم(1): نموذج لبطاقة فهرسية خاصة بالمخطوطات

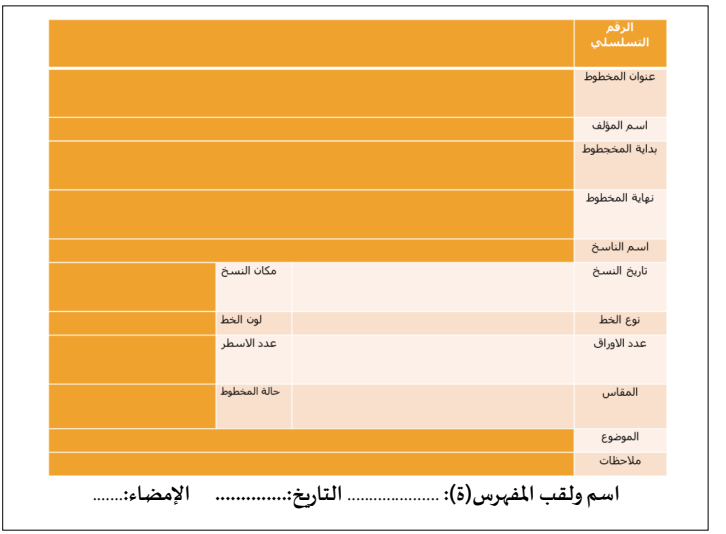

المصدر: المكتبة الوطنية الجزائرية، مصلحة المخطوطات

يظهر من خلال هذه البطاقة خصوصية فهرسة المخطوطات مقارنة مع الأوعية الأخرى فأغلب حقول البطاقة الفهرسية للمخطوط تعتمد على الوصف المادي له وحالته وقت فهرسته وهي معلومات تعد بالغة الأهمية للباحث في المخطوطات وتساعده كثيرا في عملية التحقيق والقراءة كنوع الخط، لون الخط، مكان النسخ ...الخ .كما نجد معلومات إضافية كاسم ولقب المفهرس، التاريخ والإمضاء وهذا ما لا نجده عادة في البطاقات الفهرسية للأوعية الأخرى.كما توفر المصلحة للباحثين فهارس عديدة ومهمة لاسترجاع المخطوطات أهمها: فهرس بيربروجر، فهرس دوسلان، فهرس دوفوكونري، فهرس بيربروجي الجديد، فهرس فانيان، فهرس بيوض، فهرس المخطوطات العربية...الخ. فمن خلال اطلاعنا على هذه الفهارس لاحظنا غياب الكشافات فيها التي تسهل عملية استرجاع المعلومات ولم يتم إلى غاية اليوم إنجاز كشافات في المصلحة. كما وجهت عدة انتقادات من قبل الباحثين الجزائريين والأجانب وبعض المكتبات الأجنبية للمصلحة لعدم توفر فهارس تعرّف برصيد المخطوطات، ما عدا فهرس فانيون الذي أعده المستشرق الفرنسي (رمون فالتيون) سنة 1893 وأعيد طبعه سنة 1995 بمناسبة افتتاح المقر الجديد للمكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة وافتتاح أول فضاء للباحثين وهو فضاء المخطوطات والمؤلفات النادرة، وماعدا هذا الفهرس نجد

قوائم مسودّة ونسخ مسودة من فهرس عبد الغني بيوض. ولعل من أهم أسباب ندرة هذه الأدوات ترجع من جهة إلى النقص الواضح في الموارد البشرية والتي تمتلك الكفاءة والقادرة على دراسة هذا الرصيد لأن فهرسة المخطوطات هي الأداة التي تهيئ السبيل لإحاطة الباحثين والمهتمين بالتراث المخطوط ومحتوياته علاوة على مهامها كأدوات ضبط ببليوغرافية، فالفهارس المنشورة هي بمثابة مفاتيح لكنوز المخطوطات الموجودة بالمكتبات والمراكز العلمية المهتمة بالتراث، ومن جهة أخرى إلى غياب سياسة وخطط واضحة مكتوبة تهتم بهذا الموضوع.ورغم الصعوبات التي تواجهها المصلحة في أداء مهامها إلا أنها تعمل جاهدة لتحقيق أكبر استفادة من الرصيد بتوفير عدة أدوات وتجهيزات للبحث تسهل عملية استرجاع المخطوطات من طرف المستفيدين المتمثلة في:قاعدة بيانات للمخطوطات المصورة رقميا على الأقراص زائد سجل يحمل حوالي 5000 مصور، فهرس آلي للمخطوطات على الميكروفيش بالإضافة إلى توافر سجل يتم البحث فيه بالعنوان، وأجهزة كمبيوتر للبحث الآلي على شبكة الأنترنت (تيجيني،2016).

3. إجراءات حفظ المخطوط وفق التقانين والمعايير العالمية

يعود تقييم إجراءات حفظ المخطوط في المكتبات لمدى موافقتها للتقانين والمعايير العالمية، ومن أهم التقانين العالمية التي تعنى بحفظ المخطوط تقنين (ISO 11799) وتوجيهات الإفلا(الاتحاد الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتباتIFLA) (أدكوك،2016) التي تعمل على مقربةً من اليونسكو وشركائها للدعوة عالميًا لوضع سياسات فعالة لحفظ التراث، فقد أصدر دليلا في أوت 2017 بعنوان :حفظ وحماية وترويجً التراث الثقافي" يحوي معلومات حول أهمية حفظ المجموعات التراثية الوثائقية الفريدة في حالة وقوع كارثة من صنع الإنسان أو طبيعية والتي لا يمكن الاستغناء عنها نظرا لقيمتها لمنطقة ما، وكذلك للعالم. كما يعتبر تقنين إيزو 11799 تقنين دولي لمخازن الأرشيف والمكتبات إذ يحدد مختلف المعايير المتعلقة بالمخازن من أجل الحفاظ لمدة أطول للوثائق كما يطبق أيضا لبنايات الأرشيف.

1.3 معايير تقييم المخطوطات من الناحية العلمية

تعرّف "المنظمة العالمية للتقييس" المعايير:" على أنها مواصفة فنية أو أي وثيقة أخرى متاحة لعامة الناس، ومصاغة بتعاون أو اتفاق عام من جانب المهتمين المتأثرين بها معتمدة على النتائج والتجارب المجمعة في مجال العلوم والتكنولوجيا، وتهدف إلى

تشجيع أقصى المنافع للمجتمع، ومتفق عليها مقبولة من جانب هيئة التقييس". (زايد،1998،ص 30) ووفقا لهذا التعريف تحديد معايير التقييم يجب أن يكون من هيئة خاصة وهذا ما اعتمدته مصلحة المخطوطات حيث قامت بتشكيل لجنة مختصة لتقييم المخطوطات التي تعرض للشراء وهي تتكون من مختصين في مجال المخطوطات وإداريين ومسؤولين (مديرة المكتبة، مفتش التراث في وزارة الثقافة، رئيسة المصلحة، المحافظة الرئيسية، الأستاذ دويب محقق مخطوطات علماء الجزائر، مدير دار عالم المعرفة، الأستاذة دلال لواتي قسم التاريخ). ومن أهم المؤشرات التي تعتمدها هذه اللجنة لتقييم مخطوطات المؤلفين إعطاء الأولوية للجزائريين، حيث تحظى المواضيع العلمية بالاهتمام أكثر، ثم يأتي معيار إضافات حول النص والناسخ والزخرفة والتهذيب.

2.3 تطبيق المعايير العالمية لحفظ المخطوط في المكتبة الوطنية الجزائرية

تعتبر المكتبة الوطنية الجزائرية من المؤسسات التي تقوم بتنفيذ نسبي لتوصيات الإفلا لحفظ المخطوطات بالجزائر حيث يقوم مهندسو مخبر الصيانة والمهندسون التطبيقيون الذين استفادوا من دورات تدريبية في هذا المجال بترميم المخطوطات .ومن أهم الإجراءات التي تقوم بها مصلحة المخطوطات للحفاظ على المخطوط من التلف نذكر:إيقاف إعارة المخطوطات الأصلية منذ 2009 إلا للضرورة (دراسة كوديكولوجية)، الحفظ الوقائي للمجموعات، ورقمنة المخطوطات والكتب القديمة حيث تم خلال سنة 2013 رقمنة 47 مخطوطا الأكثر طلبا من طرف الباحثين.أما مجموع المخطوطات المصورة إلى حد الآن يقدر ب 2257 مجلدا مخطوطا.

إن عدد المخطوطات المرقمنة يعد ضعيفا جدا مقارنة بالعدد الإجمالي للرصيد ويرجع ذلك حسب المسؤولة عن المصلحة لحساسية هذا النوع من الوثائق والذي يجب أن يتعامل معه بقواعد خاصة وأدوات كذلك معينة والتي لا تتوفر عليها المصلحة بسبب ميزانيتها الضعيفة، بالإضافة إلى أن المصلحة تفتقر للعاملين المتخصصين في هذا المجال وهذا يجعلها تتجنب رقمنة الرصيد المتبقي حفاظا عليه وخوفا من فقدانه نتيجة التلف.

4. النتائج العامة للدراسة

من خلال دراستنا الميدانية بالمكتبة الوطنية الجزائرية توصلنا إلى حصر مجموعة من نقاط القوة ونقاط الضعف في عملية تسيير وتنظيم التراث المخطوط.فمن أهم نقاط القوة للمكتبة توحيد إجراءاتها مع البلدان العربية في عملية معالجة المخطوطات ولضمان جودة هذه العملية أمضت المكتبة اتفاقية تعاون مع الفهرس العربي الموحد سنة 2011 من أجل فهرسة المخطوطات لتغطية العجز في عدد الموظفين المختصين في المخطوطات.

كما يتم تقييم المخطوطات المقترحة للشراء من طرف لجنة متخصصة ما يضمن فعلا الحفاظ على الموروث الثقافي الوطني كما توصي به المنظمات الدولية كالإفلا واليونسكو. وتفاديا لأي ضياع أو سرقة للمخطوطات يتم جردها بصفة منتظمة. ويهتم كذلك قسم الحفظ والمخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية بعملية صيانة وترميم ورقمنة المخطوطات للحفاظ عليها من التلف بالاعتماد على المواصفات العالمية الوقائية أو العلاجية (إيزو وإفلا). وتعمل مصلحة المخطوطات والمؤلفات النادرة على تقديم خدمات متنوعة للباحثين تتناسب مع أهدافها (كالبحث الببليوغرافي، الإرشاد والتوجيه، الإحاطة الجارية،التصوير،البث الإنتقائي للمعلومات، والإعارة للمصغرات الفيلمية).

رغم ما يتيحه التنظيم الإداري بالمكتبة من إيجابيات إلا أننا سجلنا العديد من النقائص التي ينبغي أن يتداركها المسؤولين فيما يخص تسيير وتنظيم التراث المخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية كاعتمادها على التنظيم التنازلي المباشر وإهمالها لهيكل التنظيم الاستشاري الذي يساعد المديرين على اتخاذ القرار بإعانة من المستشارين كما تساعد المدير بدراسة البرامج والمشاكل التي تواجه الإدارة قبل اتخاذ القرارات الإدارية، ومن النقائص أيضا غياب لسياسات ولخطط إستراتيجية مدروسة ومكتوبة تسمح بالتنبؤ بالمستقبل وإيجاد الحلول للمشكلات التي يمكن أن تعترضها من أجل تحسين صورتها ومركزها السوقي بعد دراسة كل المتغيرات الخارجية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتكنولوجية والقانونية والداخلية (pmest) ونقاط القوة ونقاط الضعف

الفرص والتهديدات(swot) التي يمكن أن تؤثر على جودة العمل فيها وفقا لما تنص عليه مبادئ الإدارة الحديثة للمؤسسات.

ونظرا لغياب هذه الخطط، سجلنا نقصا في عدد المتخصصين والكفاءات اللازمة في مجال المكتبات بمصلحة المخطوطات والمؤلفات النادرة الذي أثر نسبيا على نوعية وسرعة الخدمات المقدمة(إبقاء الرصيد الرقمي من المخطوطات في مصلحة التصوير لا يسهل عملية الوصول إليه وتسليمه للباحث...الخ)وعلى عملية ترميم ورقمنة مخطوطات فريدة في العالم وأخرى نادرة حيث تم إجراء تجارب عليها لترميمها مثلا بالاعتماد على مواد لا تتناسب مع المادة الأصلية لهذه المصادر من موظفين يجهلون قيمة هذا الكنز.

كما تم تجريد المخطوطات الأصلية من تجليدها الأصلي الذي يعتبر مادة قابلة للدراسة والتدريب والتجارب للمحققين لأنها ترجع لعدة قرون سابقة.كما سجلنا العديد من نقاط الضعف بالمصلحة حيث أنه لا توجد مراقبة دورية لكل المخطوطات ولم يتم تعقيم الرصيد من المخطوطات منذ 1996.بالإضافة إلى أنه تم نقل الكتب النادرة من المقر القديم بفرانس فانون ووضعها داخل المخزن بالحامة دون تعقيم أو معالجة .وهذا ما نجم عنه تعرض العديد منها للتعفن المستمر. كما أن بطئ الإجراءات لشراء المخطوطات من الخواص أدى إلى ضياع جزء مهم من التراث المخطوط.

5. الاقتراحات

بناء على النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة،اقترحنا جملة من الإقتراحات التي من شأنها أن توجه المصلحة لإدارة المخطوطات إدارة سليمة وترفع من مستوى خدماتها وتعمل على حفظ المخطوط بصورة جيدة نذكرها فيما يلي:

- إعداد سياسة وإستراتيجية واضحة مدونة لتنظيم وتسيير المخطوطات
- إعداد ميثاق الحفظ
- إتمام مشروع فهرسة رصيد مصلحة المخطوطات
- القيام بالفهرسة الآلية للمخطوطات الإسلامية بالاستفادة من تجربة الفهرس العربي الموحد في الفهرسة الآلية.

- مد جسر التعاون بين المكتبة الوطنية الجزائرية والمكتبات الأخرى في الدول المتطورة ومختلف الخبراء من جميع أنحاء العالم للاستفادة من تجاربهم في مجال الاقتناء الفهرسة والرقمنة والحفظ للمخطوطات والتفتح على الأساليب والتطورات الحديثة في هذا المجال والعمل على تنفيذها في مكتباتنا.
- اقتناء نظام آلي متكامل يقوم بتسيير مجمل أعمال مصلحة المخطوطات.
- إعداد قاعدة بيانات للمؤلفات التي تتطرق إلى موضوع الجزائر، والعمل على حصر المؤلفين والنساخ الجزائريين، المحققين، والمخطوطات المحققة.
- اقتراح تعديلات وإضافات في قانون حفظ التراث لتحسين وتطوير الحفاظ عليه.
- إنشاء مدونة خاصة بالمصلحة على الويب.
- توظيف متخصصين في مجال الترميم وفهرسة المخطوطات.
- تخصيص ميزانية أكبر لعملية شراء المخطوطات والكتب النادرة.
- الإستثمار أكثر في رأس المال البشري بتوفير الموارد البشرية الكافية من الناحية الكمية والنوعية إضافة إلى ضرورة تخصيص ميزانيات أكبر للحفاظ على التراث الثقافي المخطوط.

خاتمة

إن مصلحة المخطوطات بالمكتبة الوطنية تحمل تراثا ثقافيا مهما يمثل ذاكرة الأمة وتاريخها وهذا ما يجعلها أمام تحدٍ المحافظة عليه وإيصاله للأجيال القادمة في أحسن صورة كي لا تفقد هذه المخطوطات دلائل وسمات عصرها. وقد خطت المصلحة خطوات كبيرة وهامة فيما يتعلق بمعالجة وحفظ وترميم وصيانة هذا التراث وفق المواصفات والمعايير العالمية، ناهيك عن جهودها في جمع هذا الأخير. لكن تبقى بعض النقائص التي وقفنا عليها من خلال هذه الدراسة على المصلحة تداركها في أقرب الآجال بتظافر كل الجهود البشرية والمادية والعمل بالتوصيات التي تدعو إليها المنظمات الدولية كاليونسكو والإفلا من أجل تدارك السلبيات والنقائص التي سجلناها في عملية تسيير وتنظيم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

المراجع

1.-أبو القاسم سعد الله، 1998. تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

2.– أدكوك إدوارد ب.، 2016. مبادىء الاتحاد الدولي لجمعيات و مؤسسات المكتبات للعناية بمواد المكتبات والتعامل معها. مكتبة قطر الوطنية. قطر.

3.-تيجيني فتيحة، 2014. التقرير السنوي لأعمال مديرية تطوير المجموعات ومعالجتها لسنة 2014 ، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

4.-تيجيني فتيحة، 2016. التقرير السنوي لأعمال مديرية تطوير المجموعات ومعالجتها لسنة 2016 . المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

5.–جنيبشاوش مصطفى، 2015. إدارة الموارد البشرية "إدارة الأفراد"، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن.

6.-شريط نور الدين، 2004. تنمية المجموعات في المكتبة الوطنية الجزائرية :دراسة تقييمية لرصيد المطالعة العامة واستخدامه(1998-2001)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير .

7.-عبد الحليم زايد يسرية، 1998. المعايير الموحدة للمكتبات والمعلومات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

8.-عوض محمد عبد الغني، 1992. الأسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة.

9.-محمد بن علي شيبان العامري، 2019. مفهوم التنظيم وأهميته، موسوعة مقالات مهارات النجاح.تم استرجاعه في2019/03/03 على الرابط:

https://sst5.com/readArticle.aspx?ArtID=1229&SecID=77

10. Arab Abdelhamid, 2000. *Contribution à l'étude des institutions culturelles de l'Algérie: évolution des bibliothèques durant la période coloniale:1830-1962*, (thèse de doctorat en bibliothéconomie).

11. ISO 11799, 2015. *Information et documentation: exigences pour le stockage des documents d'archives et de bibliothèques,(la norme ISO).*